ووحد النفوس والجيوش تحت علم واحد ، وكان إليه الأمر والسلطان فى المملكة الجديدة الإسلامية الصغيرة ، ونهض الحزب القديم يجمع شتاته ليستعيد ما كان له من نفوذ وما كانت له من امتيازات وعادات أبطلها سادة الحزب الجديد . وقامت المنافسة بين الحزبين فكان هجاء أشبه بالهجاء القبلى ولكنه انصبّ على المبادئ الإسلامية الجديدة ، وذكر جنة وذكر ناراً ، مما استمده من تعاليم القرآن الكريم .

ولم تسلم المملكة الجديدة من اضطراب وتنازع فى الأمصار ، فقد اتسعت الرقعةُ على قوم ناشئين فى الحكم ، ليست لهم ممارسة قديمة فى الإدارة ، ونشأت أحزاب فى هذه الأمصار لكل منها زعيم كبير لا يقل شأناً عن زميله فى قرابة الرسول أو صحبته وأصالة العشيرة وقوة النسب والمفاخر ، وهنا دبّ الهجاء ولكنه قام على العصبية الجاهلية كذلك ، كلّ ينتسب إلى أهله القدماء فى الجزيرة ويعدّد مفاخره العربية القديمة . وظهر هذا الهجاء السياسى فى شكل جديد ، ينزع بعض الشعراء إلى نصرة الخلافة ويهاجمون المنشقين ، وينزع آخرون ضد هذه الخلافة نفسها ويهاجمونها ، فكانت حكومة وكانت معارضة ، كما نقول اليوم ، وكان خارجون على الحكم ومناصرون لهذا الحكم .

وسعى رسول الله فى تكوين دولة جديدة على الإيمان سلاحها الجهاد والإخاء ، وتبعه أبو بكر وعمر فامتدت الدولة الإسلامية لعهدهما وسكنت لحزمهما ، وتعثرت فى عهد عثمان ، فعادت العصبية القبلية إلى الظهور ، وتحولت إلى عصبية إقليمية فأصبح فى الشام حزب معاوية وفى العراق حزب علىّ . ونشأت الشيعة ، وقامت فئة نزارية وفئة قحطانية ، وكان مع معاوية اليمنية ومع علىّ النزارية ، وظهر الخوارج ، ونهضت فتن وثورات ، ورافق ذلك كله شعر فى الفخر والهجاء ولكنه كان أقرب إلى الشعر البدوى فى الحماسة وفى تعداد المثالب والمعايب ، يضاف إليه الاعتزاز بالإقليم من شام أو عراق .

وعرف معاوية كيف يتألف القلوب ، ويبذل المال ، ويقرّب الشعراء ، وبايع لابنه يزيد بولاية العهد ، فسار على سياسة الوراثة فى الحكم ، وحرّض شعراءه على المعارضين ، ودعاهم بالإغراء إلى أن يكونوا شعراء رسميّين كصحافة